

التفسير الفقهي في القيروان

حتى القرن الخامس الهجري

د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الزومي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد.

فقد وجه إليّ سعادة الأستاذ الدكتور أبولبابه حسين دعوة كريمة لحضور الملتقى العلمي الثالث لمركز الدراسات الإسلامية بالقيروان وموضوعه (القيروان مركز علمي مالكي بين المشرق والمغرب من الفتح حتى القرن الخامس للهجرة).

وقد رغبت في أن يكون الموضوع الذي سأشارك في إعداده لهذا الملتقى العلمي المبارك إن شاء الله بعنوان: «التفسير الفقهي في القيروان حتى القرن الخامس» وهو الموضوع الذي يجمع بين تخصصي في الدراسات القرآنية وبين موضوع الملتقى.

وقد ترددت بادئ ذي بدء في المشاركة بالكتابة وقلت وما عسى أن آتي به في هذا وما مثلي إلا كمستبضع التمر إلى هجر أو من يحمل التمر إلى البصرة.

وحين شرعت في قراءة تاريخ القيروان توطئة للبحث انكشف لي تاريخ

حافل تفخر به الحضارة الإسلامية. ولئن كان العلماء القدامى قد أعطوها حقها أو أكثره من الدراسة فإني أجزم أن المتأخرين قد قصرُوا في ذلك. وأن لتاريخها حقاً على علماء المسلمين عامة وعلى أهلها خاصة وأن يقدموا دراسة خاصة لكل علم من العلوم وفي كل فن من الفنون.

ولذا رأيت أن من الواجب عليّ المشاركة في ذلك وأن أقدم ما أستطيع وإن قلّ وأن أكتب وإن لم آت بجديد يذكر.

وبدأت في القراءة الخاصة بالموضوع وازدادت دوافع الإحجام عن الكتابة قوة إذ لم أجد مادة علمية كافية في ميدان البحث بل رأيت قلة وندرة ما وصل إلينا في التفسير عامة وفي التفسير الفقهي خاصة. وكدت أقف وانقطع عن الكتابة، ثم قلت في نفسي وما عليّ ألا أكتب ما توصلت إليه وأن أكشف ما وقفت عليه، ثم أدع الأمر للباحثين فإن وجدوا ما لم أجد أعلنوه وكنت من أوائل المستفيدين منه، وإن لم يجدوا شيئاً كان لي وإياهم أجر المجتهدين.

وفيما ذكرت إشارة إلى أن ما كتبت من وريقات معدودة ليس من البحوث المغرية المغدقة بالثمار وأنها ليست إلا تقريراً عن مشروع بحث لم تسعف الباحث فيها قواه العلمية، أو لم تسعفه مادة البحث، وهي أيضاً دعوة للباحثين لاستكمالهم وإتمام نقصه وكفى هذه الوريقات شرف هذه الدعوة. فضلاً عن الاستجابة العلمية الجادة لها والله المستعان وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د. فهد عبد الرحمن الرومي

استاذ مشارك - قسم الدراسات القرآنية

كلية المعلمين - الرياض - المملكة العربية السعودية

(ص.ب 15176 الرياض 11444 السعودية)

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين. وكان القوم الذين نزل عليهم القرآن عرباً خالصاً يفهمونه بمقتضى السليقة العربية واللسان العربي، غير أن القرآن يعلو على سائر الكلام بألفاظه وأساليبه اللغوية والبلاغية فضلاً عن معانيه، ولذا فقد كان القوم يتفاوتون في فهمه وإن كان كل منهم يدرك منه ما يوقفه على إعجازه - فكان بعضهم يفسر ما غمض على الآخر من معانيه، فإن أشكل عليهم سألوا الرسول ﷺ فيبينه لهم فقد كلف عليه الصلاة والسلام بذلك: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (1).

وهكذا أقبل الصحابة (رضي الله عنهم) على القرآن يتلونه حق تلاوته، ويدرسونه حق الدراسة ثم يعملون به حتى صاروا خير أمة أخرجت للناس بعد أن كانوا قبل نزوله في أدنى درجات الجاهلية فأعزهم الله بالقرآن.

وأدرك الصحابة (رضي الله عنهم) أن نور القرآن لا تحده حدود، وأن عليهم نشره والدعوة إليه فانتشرت الجيوش الإسلامية في الآفاق ما إن يفتح بلد من البلدان حتى يعلموا أهله القرآن تلاوة وحفظاً، وبياناً وتفسيراً.

فنشأت في البلدان المفتوحة مدارس للتفسير عديدة منها:

- مدرسة مكة وإمامها عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما).
- ومدرسة المدينة ومن أئمتها أبي بن كعب (رضي الله عنه).
- ومدرسة العراق وإمامها عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه).

(1) سورة النحل: الآية 44.

- ومدرسة الشام ومن أئمتها أبو الدرداء رضي الله عنه .

- ومدرسة مصر ومن أئمتها عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) .

- ومدرسة اليمن ومن أئمتها معاذ بن جبل (رضي الله عنه) .

واتسعت الفتوحات الإسلامية واتسعت رقعة مدارس التفسير وشارك الصحابة (رضي الله عنهم) في فتح إفريقية منذ أول غزو لإفريقية بقيادة عبدالله ابن أبي سرح سنة 27 هـ كما شاركوا في أغلب مراحل الفتح وإن كان عددهم يتضاءل شيئاً فشيئاً كلما تقدم التاريخ⁽¹⁾.

وكان من بين الصحابة الذين دخلوا إفريقية من له صلة خاصة بالقرآن فعبدالله بن الزبير كان عضواً في لجنة جمع القرآن في عهد عثمان (رضي الله عنه)، وهو من حفاظ القرآن وابن عمر، وابن عمرو، وابن عباس، وفضالة بن عبيد، وعقبة بن عامر كانوا من حفاظ القرآن، وكان لابن عباس، وابن الزبير، وابن عمرو، وعقبة بن عامر مصاحف خاصة، وكلهم دخل إفريقية⁽²⁾.

ومع كثرة الصحابة (رضي الله عنهم) الذين دخلوا إفريقية فقد كان لاحداث الفتح وكثرة ارتداد الافارقة وتكرار اعادة الفتح أثره في انشغال الصحابة (رضي الله عنهم) عن الاستقرار في إفريقية للتعليم ولذا لم تذكر المصادر شيئاً من هذا الجانب التعليمي⁽³⁾.

وقام التابعون⁽⁴⁾ بهذه المهمة فقد دخل القيروان عدد من التابعين بقصد

(1) القراءات بإفريقية: د. هند شلبي، ص 24.

(2) القراءات بإفريقية: د. هند شلبي، ص 27 - 30.

(3) مجلة جامعة الزيتونة، العدد الأول 1992 م مقال نشأة التفسير بتونس: د. وسيلة بلعيد بن حمده، ص 66.

(4) لا أدري ما سر حصر عدد التابعين الذين دخلوا إفريقية بأعداد قليلة فمنهم من قال أن عددهم (22) ومنهم من قال (27) من التابعين وإذا كان التابعي هو من رأى الصحابي =

تعليم أهلها وكان لبعضهم صلة خاصة بالقرآن الكريم حفظاً، وقراءة، وتفسيراً ودراسة، وكانت القراءة الغالبة رواية حمزة ولم يكن يقرأ بحرف نافع إلا خواص حتى قدم أبو عبدالله محمد بن خيرون المعافري (ت 306) من مصر برواية نافع فاجتمع إليه الناس ورحل إليه أهل القيروان من الآفاق⁽¹⁾ ولا يزال الأمر كذلك إلى يومنا هذا.

وعلل بعض الباحثين انتشار قراءة نافع بانتشار المذهب المالكي بهذه الديار، فنافع القاريء شيخ لمالك ويروى عنه أنه قال: «إن قراءة أهل المدينة سنة قيل له قراءة نافع؟ قال: نعم»⁽²⁾.

وكغيره من البلدان المفتوحة اتجه أهل إفريقية مع تعلم القرآن الكريم إلى تعلم الأحكام الفقهية العبادات والمعاملات فكان أغلب التعليم على هذا النحو، ولهذا بعث عمر بن عبد العزيز (رحمه الله تعالى) نهاية القرن الأول بعثته العلمية المشهورة إلى إفريقية ليفقهوا أهلها ويعملوهم أمر دينهم⁽³⁾.

ويبلغ عدد أعضاء هذه البعثة العلمية عشرة من التابعين كان لهم أثر كبير في تعليم أهل إفريقية، فقد اختط كل واحد من أعضاء البعثة داراً لسكناه ومسجداً لعبادته وكتباً لتحفيظ القرآن⁽⁴⁾ وتخرجت على أيديهم الطبقة الأولى من علماء القيروان الذين واصلوا المهمة، ورحل بعضهم إلى المشرق لزيادة التحصيل والرواية للعلم ثم عادوا إلى القيروان ليكونوا طلائع الحياة الفكرية في القيروان التي ازدهرت بعد ذلك حتى بلغت أوجها.

= وهو يؤمن بالرسول - ﷺ - فإن جيش الفتح فيه عدد من الصحابة ورآهم الجيش كله وعدد كبير من أهل إفريقية فكلهم من التابعين وليسوا بمحصورين بهذه الأعداد القليلة.

(1) تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس: ابن الفرضي ج 2 ص 112.

(2) القراء والقراءات بالمغرب: سعيد أعراب ص 13.

(3) رياض النفوس: المالكي ج 1 ص 99.

(4) ورفات: ح ح عبد الوهاب، ج 1 ص 78 عن القراءات بإفريقية - د. هند شلبي ص 130.

ومن أشهر من رحل منهم إلى المشرق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (74 - 161) ، وعبدالله بن فروخ الفارسي (115 - 176) ، والبهلول بن راشد الرعيني (128 - 183) ، وعبدالله بن عمر بن غانم الرعيني (168 - 190) ، وأسد بن الفرات (142 - 214) وغيرهم .

ويبدو أن أثر هذه البعثة كان كبيراً في رسم الاتجاه العلمي للافارقة فكان أغلب اتجاههم اتجاهاً فقهياً بل ويظهر ما هو أشد من ذلك حين نعلم بقلة أو ندرة المصحف في تلك الفترة، فقد كان عمر بن يَمَكْتَنُ يحفظ القرآن عن طريق التعرض إلى القادمين من الشرق فيكتب لوحه ويحفظ ما فيه ثم يمحوه ويعود إليهم فيكتب جزءاً ثانياً وهكذا إلى أن أتم حفظ القرآن⁽¹⁾، وقد أستنبط الاستاذ ح. ح عبد الوهاب من هذا الخبر أمرين أحدهما قلة المصاحف المكتوبة في ذلك العصر⁽²⁾، وقد أيدت د. هند شلبي هذا الاستنباط بحديث ابن سحنون عن استئجار المصحف للقراءة فيه والسماح بذلك⁽³⁾ وقالت إنما يحتاج إلى استئجار المصحف لارتفاع ثمن شرائه، وإنما يكون كذلك لقلة توفره⁽⁴⁾، وقال الشيخ طاهر الجزائري: «وقد حافظ أهل المغرب في أمر كتابة المصاحف على الكتبة الأولى...» وقد نشأ عن ذلك، قلة في كُتَّاب المصاحف عندهم لتوقف أمر كتابتها على البراعة في أمور يستغنى عنها في كتابة غيرها⁽⁵⁾.

ولهذا فقد حاول، بعض الباحثين ذكر هذه المصاحف ما وجد منها

(1) السير: للشماخي، ص 142.

(2) ورفات: ح ح عبد الوهاب، ج 1 ص 81 عن القراءات بإفريقية - د. هند شلبي ص 43.

(3) آداب المعلمين: ابن سحنون، ص 126 - 127.

(4) القراءات بإفريقية: د. هند شلبي، ص 43 - 44، وانظر ص 60.

(5) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإثقان: طاهر الجزائري، ص 214، وانظر القراءات بإفريقية د. هند شلبي، ص 60.

بالفعل وما كان وجوده تخميناً⁽¹⁾.

وقد أجملت الدكتورة هند شلبي القول بعد استعراضها لتاريخ المصحف في إفريقية بقولها: «نستطيع إذن أن نقول بعد هذا أننا لا نملك عن المصحف بإفريقية في القرن الأول سوى معلومات عرضية موزعة في المصادر متفاوتة في درجات القوة. وليست معلوماتنا عن المصحف في القرن الثاني أكثر غناء عن معلوماتنا عنه بها في القرن الأول، بل لعلها دونها بكثير»⁽²⁾.

ولا يبد علم القراءات كثيراً عن ذلك فقد أشتكت د. هند من قلة المعلومات حول القراءات بإفريقية في القرنين الأول والثاني، بل استمر الغموض في الواقع - كما تقول - إلى أوائل القرن الثالث⁽³⁾.

كما أشار إلى غلبة الاتجاه الفقهي في إفريقية الدكتور السيد محمد ابو العزم فقال: «نما الحديث والفقه واعتنى بهما المغاربة عناية فائقة بزت ما عداها، ونبغ كثير من المغاربة في هذا الشأن وذاع صيتهم حتى طبق الآفاق وأصبحوا قبلة الأنظار في كل مكان»⁽⁴⁾.

واستشهد بما رواه صاحب المعالم⁽⁵⁾ أن عبدالله بن غانم القاضي سأل بعض ثقاته يوم الجمعة فقال: هل حضرت للجامع اليوم؟ قال: نعم، قال: من رأيت به؟ قال: رأيت سبعين قلنسوة يستحقون القضاء ورأيت ثلثمائة قلنسوة فقيه. فاسترجع ابن غانم عندما سمع ذلك وقال: مات الناس.

(1) القراءات بإفريقية: د. هند شلبي ص 47، وانظر القراء والقراءات بالمغرب: سعيد أعراب، ص 8 - 9.

(2) القراءات بإفريقية: د. هند شلبي، ص 57.

(3) المرجع السابق، ص 150.

(4) الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين: د. السيد محمد أبو العزم داود، ص 394.

(5) معالم الإيمان: ابن الدباغ، ج 3 ص 18 - 19.

ويظهر أثر الإتجاه الفقهي حتى في اختيار القراءات فحين كان المذهب الحنفي هو الشائع في القيروان إلى أوائل القرن الثالث⁽¹⁾ كانت القراءة الشائعة هي قراءة حمزه ولم يكن يقرأ بحرف نافع إلا خواص⁽²⁾ وهي القراءة المشتهرة بالكوفة⁽³⁾، وعندما ساد المذهب المالكي في القيروان انتشرت قراءة نافع التي قال عنها الإمام مالك قراءة أهل المدينة سنة قيل له قراءة نافع قال: نعم⁽⁴⁾. وقد تلقى مالك القراءة عرضاً وسماعاً عن نافع⁽⁵⁾.

ويزداد التعصب لقراءة نافع بازدياد التعصب لمذهب مالك، فالإمام سحنون الذي حمل لواء المذهب المالكي بإفريقية وابنه محمد يحسن قراءة نافع ويلزم المؤدب أن يعلمها للأطفال حيث قال: «ويلزمه أن يعلمهم ما علم من القراءة الحسن وهو مقراً نافع»⁽⁶⁾، أما قاضي القيروان أبو العباس عبد الله بن طالب فقد أمر المقرء ابن برغوث ألا يقرء الناس إلا بحرف نافع⁽⁷⁾، وابن طالب هو الذي ألف «كتاب الرد على من خالف مالكاً» وكان متعصباً لمالك⁽⁸⁾.

وكان المذهب المالكي حصناً منيعاً وفي أهل إفريقية شر الضلالات، وعِزّاً أكسبهم قومية نافحوا دونها، وقاوموا الدخلاء من ذوي السلطان⁽⁹⁾ وسدّاً عظيماً عن تيارات الفرق الضالة كالمعتزلة والشيعة فنافحوهم وقاوموهم في جميع الأحوال.

(1) القراءات بإفريقية: د. هند شلبي، ص 212.

(2) تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس: ابن الفرضي، ج 2 ص 112، وغاية النهاية: ابن الجزري، ج 2 ص 217.

(3) السبعة في القراءات: ابن مجاهد، ص 76.

(4) غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري، ج 2 ص 331 - 332.

(5) المرجع السابق، ج 2 ص 330 - 331.

(6) آداب المعلمين: ابن سحنون ص 102.

(7) ترتيب المدارك: القاضي عياض، ج 2 ص 198.

(8) الصراع المذهبي بإفريقية: د. عبد العزيز المجدوب، ص 42.

(9) المرجع السابق، ص 44.

ويبدو لي أن اتجاه العلماء اتجاهاً فقهياً كان على حساب العلوم الأخرى. فقد جرت ملاحظة بين ابن سحنون وابن عبدوس عَرَّصَ فيها الأول بالثاني فقال: «يتكلمون في الفقه ولعل أحدهم لو سئل عن اسم أبي هريرة ما عرفه» وكان ابن عبدوس يقول لأصحابه: «افهم هذه المسألة فإنها أنفع لك من اسم أبي هريرة، وفي رواية هذا أحب إلي من معرفة اسم أبي سعيد الخدري تعريضاً لابن سحنون لعلمه بالرجال⁽¹⁾».

وإذا كان الأمر كذلك فلا عجب أن تقل المؤلفات في التفسير خاصة إذا ما قورنت بالمكانة العلمية الكبيرة للقيروان في أوج حضارتها لا سيما في النصف الأول من فترة هذه الدراسة وخاصة إذا ما قورنت بكتب الفقه حيث لم يصل اهتمامهم بالتفسير إلى درجة اهتمامهم بالفقه⁽²⁾. وقد علل الطاهر المعموري هذا الأمر بقوله: «لم يحتل التفسير بإفريقية مكانة كبيرة منذ بدأت العلوم الإسلامية تنتشر في البلاد لعدم حاجة الناس إليه وضعف استعدادهم لممارسته حتى أن مشاهير المفسرين الإفريقيين لم تكن البيئة هي التي دفعتهم إلى وضع تفاسير اشتهرت بنسبتها إلى إفريقية، بل الأجواء الخارجية من شرقية وأندلسية هي التي بعثت فيهم تلك الهمة⁽³⁾»، ثم ذهب يشرح هذا بتتبع المفسرين وبيان باعث الهمة عند كل واحد منهم فأبو زكريا يحيى بن سلام كان بصرياً قبل أن يكون إفريقياً وإنما المدة التي قضاها بإفريقية ثم تدرسه الكتاب بها جعلاً الأفاقة يدعون أنه تفسير إفريقي، وأبو محمد مكي بن أبي طالب كان تكوينه مشرقياً أندلسياً ولم تساهم إفريقية في اكتمال نضجه العقلي الذي مكّنه من ولوج عالم التفسير وكذلك نجد الوضعية نفسها بالنسبة إلى ابن عمار المهدي⁽⁴⁾.

(1) ترتيب المدارك: القاضي عياض، ج 2 ص 120 - 121.

(2) القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية: د. محمد زيتون، ص 292، وقد ناقشت هذا الأمر مع عدد من الأخوة الأساتذة في تونس وكان رأيهم كذلك.

(3) جامع الزيتونة: الطاهر المعموري، ص 32.

(4) المرجع السابق، ص 33.

إلا أن الاتجاه الفقهي مرة أخرى يظهر أثره حتى في الاتجاه التفسيري فكانت المؤلفات في التفسير الفقهي على قلتها أكثر من المؤلفات في التفسير العام إلا أن الأمر العجيب هو عدم وصول شيء من المؤلفات في التفسير الفقهي إلينا كما وصلت التفسيرات العامة مع أن المنطقي أن تكون عنايتهم بالأولى أكثر من الثانية وتناقلهم لها أشهر.

ولعل الآيات القرآنية لا تطاوع في مسائل الاختلافات المذهبية مطاوعة نصوص العلماء والائمة فكان التفسير الفقهي يحملهم على البعد عن التعمق في الفروع تعمقاً يتناسب مع ما وصلت إليه الأبحاث الفقهية فأدى بهم هذا إلى عدم العناية الكافية بها، ولعل هذا يفسر قول ابن الحداد «ما حرف من القرآن إلا وأعددت له جواباً، ولكن لم أجد له سائلاً»⁽¹⁾.

وقد تناول المفسرون آيات الأحكام سواء كان ذلك في التفسير العامة أو كان بإفرادها بتفسير خاصة.

فقد عني يحيى ابن سلام بتفسير آيات الأحكام، وقد بينت الدكتوراة وسيلة بلعيد منهجه في تناولها بقولها: «إن ابن سلام لا يتعرض إلى اختلافات المذاهب في تفسير آيات الأحكام»⁽²⁾ وإنما كان اعتماده على آراء السلف وبعض آراء مالك. ولم يقتصر ابن سلام على عرض هذه الآراء بل كان يرجح بينها ويعتمد ما يرجحه ويعقب عليه بقوله: (وبه يأخذ يحيى) وكانت له بعض اجتهادات فقهية تدل على استقلاله في الرأي يذكرها إثر رأي مالك⁽³⁾، والمؤلفات في تفسير آيات الأحكام معدودة ولم يشتهر وصول شيء منها إلينا وهي:

-
- (1) معالم الإيمان: الدباغ، ج 2 ص 296.
 - (2) لعل هذا يؤيد ما أشرت إليه من أن تفسير آيات الأحكام لا يطاوعهم على التعمق في مسائل الاختلافات المذهبية.
 - (3) مجلة جامعة الزيتونة، العدد الأول، بحث (نشأة التفسير بتونس) د. وسيلة بلعيد بن حمده، ص 97.

أولاً - أحكام القرآن :

لأبي عبدالله محمد بن سحنون بن سعيد التنوخي (202 - 255)⁽¹⁾، ورد ذكره في ترتيب المدارك⁽²⁾، والديباج المذهب⁽³⁾ وغيرهما من المؤلفات الحديثة⁽⁴⁾.

ثانياً - أحكام القرآن :

للقاضي أبي الأسود موسى بن عبد الرحمن بن حبيب المعروف بـ (القطان) 232 - 306) ويقع تفسيره أحكام القرآن في اثني عشر جزءاً ورد ذكره في البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب⁽⁵⁾ والديباج المذهب⁽⁶⁾ وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية⁽⁷⁾ وطبقات المفسرين⁽⁸⁾، وقال الدباغ: «لموسى تأليف في أحكام القرآن اثنا عشر جزءاً قد أجاده وأتقنه»⁽⁹⁾. وتعقبه ابن ناجي بقوله: «قلت كذلك ذكر غير واحد وما زلت متعجباً من هذا ومثله، إذ لم أر مسألة نقلت عن موسى لا غريباً ولا غيره»⁽⁴⁾. وقال الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب: «أحكام القرآن في اثني عشر جزءاً

(1) لم أترجم لأحد من هؤلاء لأنني رأيت أن في الترجمة لهم تطويلاً في البحث بلا ثمرة إذ أن تراجم هؤلاء الأعلام موجودة في أدنى المراجع المختصة.

(2) للقاضي عياض، ج 2 ص 107.

(3) لابن فرحون، ص 236.

(4) كتاب لعمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين: حسن حسني عبد الوهاب، المجلد الأول، ص 589، والمدرسة القرآنية في المغرب: عبد السلام الكنوني، ج 1 ص 148.

(5) لابن عذارى المراكشي، ج 1 ص 181.

(6) لابن فرحون، ص 343.

(7) للشيخ محمد بن محمد مخلوف، ص 81.

(8) للدودي، ج 2 ص 342.

(9) معالم الإيمان: الدباغ، ج 2 ص 339.

موضوعه استخراج الأحكام من الكتاب العزيز وصفه معاصروه بالجودة والإتقان⁽¹⁾.

ثالثاً - أحكام القرآن:

لابي جعفر أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي (234 - 319).

ويقع تفسيره أحكام القرآن في عشرة أجزاء ذكره في طبقات علماء إفريقية⁽²⁾ وقال: «له كتب في أحكام القرآن»⁽¹⁾، وذكر في ترتيب المدارك⁽³⁾، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية⁽⁴⁾، وفي كتاب العمر⁽⁵⁾.

رابعاً - المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره لمكي بن أبي طالب القيسي (355 - 437):

ويقع هذا التفسير في عشرة أجزاء ذكره في وفيات الأعيان⁽⁶⁾، ومعجم الأدباء⁽⁷⁾ وترتيب المدارك⁽⁸⁾، في كتاب العمر⁽⁹⁾، ومعجم المفسرين⁽¹⁰⁾ والمدرسة القرآنية في المغرب⁽¹¹⁾.

(1) كتاب العمر: ح. ح. عبد الوهاب، ج 1 ص 110.

(2) للخشني، ص 38.

(3) للقاضي عياض، ج 2 ص 85.

(4) لمحمد بن محمد بن مخلوف، ص 81.

(5) حسن حسني عبد الوهاب، ج 1 ص 117.

(6) لابن خلكان: ج 5 ص 276.

(7) ياقوت الحموي، ج 9 ص 170.

(8) القاضي عياض، ج 2 ص 738.

(9) ح. ح. عبد الوهاب، ج 1 ص 130.

(10) عادل نويهض، ج 2 ص 684.

(11) لعبد السلام الكونني، ج 1 ص 178.

وقال الدكتور أحمد حسن فرحات: «ومن العجيب أن لا يصل إلينا هذا الكتاب - على أهميته - وخاصة أنه يحمل اسم الإمام مالك، فالغالب أن يعتنى به وخاصة من أتباع الإمام مالك، ولعل الأيام القادمة توقفنا على نسخة منه. ولا بد أن هذا الكتاب قد مهد السبيل لمن جاء بعد مكّي ممن كتبوا في تفسير القرآن وأحكامه على مذهب مالك، ومكّي بهذا العمل يبين لنا أن مالكا - رحمه الله - قد اشتهر بالتفسير أيضاً إضافة إلى شهرته الواسعة في الفقه»⁽¹⁾.

خامساً - اختصار أحكام القرآن:

وهو أيضاً لمكّي بن أبي طالب، ويقع في أربعة أجزاء ورد ذكره في نفس المواضع السابقة للكتاب السابق. وقال الأستاذ ح. ح عبد الوهاب: «إلا أنهم لم يذكروا الأصل الذي اختصره مكّي، والمشهور عند المالكية خاصة هو (أحكام القرآن) لإسماعيل بن إسحاق القاضي»⁽²⁾.

ولأن هذين الكتابين لمكّي مفقودان فإننا لا نستطيع معرفة منهج مكّي فيهما إلا أن الأستاذ أحمد حسن فرحات الذي كانت أطروحته للدكتوراه عن مكّي قد رسم منهجه الفقهي من خلال كتبه الأخرى فقال: «وبالرغم من أن مكياً كان مالكياً في اتجاهه العام، إلا أن مالكيته لم تقيده، ولم يكن مالكياً مقلداً بل كان مجتهداً، ولم يكن ليلتزم آراء المالكيين دائماً في الترجيح بل هو يناقش المسائل، ويأتي بالأدلة ويستشهد بآراء العلماء من الصحابة والتابعين وأصحاب المذاهب الأخرى، وقد يكتفي أحياناً ببيان بعض الأحكام على المذهب المالكي حيث يقول: «والحكم في هذه المسألة على مذهب مالك هو كذا... ولا يشتم من كلامه أي تعصب مذهبي، أو انتصار لمذهبه بناء على أنه مالكي، بل إنه في أحيان كثيرة يرجح

(1) مكّي بن أبي طالب وتفسير القرآن: د. أحمد حسن فرحات، ص 217.

(2) كتاب العمر: ح. ح عبد الوهاب. ج 1 ص 138.

غير مذهبه، وهذا يدل على سعة أفق الرجل، وبحثه عن الحق والتزامه به»⁽¹⁾.

هذه هي المؤلفات الإفريقية (القيروانية) في أحكام القرآن وهي كلها مفقودة لم يصل إلينا شيء منها يمكن أن نصل عن طريقه إلى منهج التفسير الفقهي في القيروان في تلك الفترة.

وحتى كتب التفسير القيروانية الأخرى ليس فيما وصل إلينا منها - وهو قليل - ما يروي ظمأ الباحثين ولعله يظهر لنا من تراثنا المخطوط المفقود ما يكشف ذلك والله المستعان وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(1) مكّي بن أبي طالب وتفسير القرآن: د. أحمد حسن فرحات، ص 76.

المراجع

- 1- آداب المعلمين: محمد بن سحنون، مراجعة وتعليق: محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية تونس 1392.
- 2- الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين: د. السيد محمد أبو العزم داود، المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة 1405.
- 3- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة 1983 م.
- 4- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس: أبو الوليد عبد الله بن محمد (ابن الفرضي)، مكتبة الخانجي - مصر - الطبعة الثانية 1408.
- 5- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان: الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي، اعتني به عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الثالثة - بيروت 1412 دار البشائر الإسلامية.
- 6- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: القاضي عياض - دار مكتبة الحياة - بيروت - دار مكتبة الفكر - ليبيا 1387.
- 7- جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي: الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب 1980 م.
- 8- الدياج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: برهان الدين إبراهيم بن فرحون، دار الكتب العلمية - بيروت.
- 9- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية: لابي بكر عبد الله بن محمد المالكي، تحقيق: بشير البكوش - دار الغرب الإسلامي - بيروت 1403.

- 10 - السبعة في القراءات: ابن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، الطبعة الثانية - دار المعارف - مصر.
- 11 - السير لابي العباس بن أحمد الشماخي، طبعة القاهرة 1301.
- 12 - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف - دار الفكر.
- 13 - الصراع المذهبي بإفريقية: عبد العزيز المجذوب، الطبعة الثانية 1985 م، الدار التونسية للنشر.
- 14 - طبقات علماء إفريقية: الخشني، تحقيق: د. محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى 1413.
- 15 - طبقات المفسرين: شمس الدين محمد بن علي الداودي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى 1392.
- 16 - غاية النهاية في طبقات القراء: لشمس الدين ابي الخير محمد بن محمد بن الجزري، الطبعة الثانية 1400، دار الكتب العلمية - بيروت.
- 17 - القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري: د. هند شلبي، الطبعة الثانية 1983، الدار العربية للكتاب.
- 18 - القراء والقراءات بالمغرب: سعيد اعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 1410.
- 19 - القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية: د. محمد محمد زيتون، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى 1408.
- 20 - المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي إلى ابن عطية: عبد السلام أحمد الكونني، مكتبة المعارف - الرباط، الطبعة الأولى 1401.
- 21 - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: لابي زيد عبد الرحمن الدباغ، الجزء الثاني: تحقيق: محمد الأحمدى ابو النور، الناشر: مكتبة الخانجي، مصر، والمكتبة العتيقة، تونس، والجزء الثالث طبع بالمطبعة الرسمية العربية 1320.
- 22 - معجم الأدباء: ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - الطبعة الأخيرة.
- 23 - معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: عادل نويهض،

- مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة الأولى 1403 .
- 24 - مكّي بن أبي طالب وتفسير القرآن: د. أحمد حسن فرحات، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى 1404 .
- 25 - ورقات: حسن حسني عبد الوهاب، تونس 1965 م .
- 26 - وفيات الأعيان: ابن خلكان، دار صادر - بيروت 1397 .

المجلات:

- مجلة جامعة الزيتونة، تصدر عن جامعة الزيتونة بتونس، العدد الأول 1412 - 1413 الموافق 1992 م .

